المصدر : الاهـــرام
التاريخ : ١٧ يونية ٢٠٠٠

الأرض والسلام

الأرض مقابل السلام.. لا تفريط فى ذرة من تراب سوريا.. مبدأن استمسك بهما الرئيس السورى الراحل حافظ الأسد فى المفاوضات مع إسرائيل منذ أن بدأت عملية السلام فى العاصمة الأسبانية مدريد عام ١٩٩١.

وطوال السنوات التسع الماضية رفض الأسد بصلابة وحزم تقديم أى تنازلات لإسرائيل من أجل توقيع معاهدة سلام تنهى الصراع بين البلدين، ولم تنجح الضغوط ومحاولات الإغراء التى مارستها الإدارة الأمريكية سواء فى عهد الرئيس السابق جورج بوش، أو الرئيس الحالى بيل كلينتون فى زحزحة الرئيس الأسد عن موقفه وتمسكه بضرورة تطبيق قرار مجلس الأمن ٢٤٢.

وبسبب هذا الموقف الصلب، كانت المفاوضات بين إسرائيل وسوريا تبدو وكأنها تدور فى حلقة مفرغة.. إسرائيل تطالب بسلام يضمن مصالحها الحيوية فى الجولان خاصة المياه وترفض مبدأ الانسحاب الكامل من الهضبة المحتلة.. وسوريا تصر على الانسحاب الكامل إلى ما وراء حدود الرابع من يونيو ١٩٦٧.

وبعد رحيل الأسد، أصبح السؤال المطروح بقوة: هل سيشهد المسار السورى - الإسرائيلى انفراجا فى عهد القيادة السورية الجديدة؟.. وبعبارة أخرى: هل سيحذو الدكتور بشار الأسد المرشح للرئاسة فى سوريا حذو والده فى المفاوضات مع إسرائيل؟.

هناك من يقول إن إسرائيل تعض أصابع الندم لأنها ضيعت فرصة السلام مع سوريا فى عهد الأسد.. والمتتبع لوسائل الإعلام الإسرائيلية منذ وفاة الرئيس السورى، يلمس أن إسرائيل تستبعد استئناف المفاوضات مع سوريا قريبا، بل إن هناك من يعتبر غياب الرئيس الأسد عن الساحة ضربة قوية لعملية السلام على هذا المسار، لأنه كان الشخص الوحيد فى سوريا القادر على توقيع معاهدة سلام تحظى بتأييد الشعب والمؤسسة العسكرية.

وبالعودة إلى خبرات التفاوض بين البلدين نجد أن مفاوضات السلام على المسار السورى - الإسرائيلى مرت بخمس مراحل أساسية فى عهد رؤساء الوزراء فى إسرائيل الذين تولوا السلطة منذ عام ١٩٩١ وهم: إسحق شامير، وإسحق رابين، وشيمون بيريز، وبنيامين نيتانياهو وأخيرا إيهود باراك.

وفى المراحل الخمس، لم يطرأ تقدم يذكر على المسار السورى مقارنة بالمفاوضات على المسار الفلسطينى باستثناء ما عرف باسم «وديعة رابين» وهى تعهد قدمه إسحق رابين إلى وارين كريستوفر وزير الخارجية الأمريكية السابق عام ١٩٩٣، أقر فيه رابين باستعداد إسرائيل للانسحاب الكامل من الجولان مقابل شروط أمنية، وفى عام ١٩٩٥ توصل الجانبان السورى والإسرائيلى إلى إطار تفاهم حول الترتيبات الأمنية بعد الانسحاب من الجولان وهو إطار مهد الطريق أمام مشاركة حكمت الشهابى رئيس الأركان السورى السابق ونظيره الإسرائيلى فى ذلك الوقت أمنون شاحاك.

باستثناء ذلك لم تخرج جولات المفاوضات بنتيجة محددة، بل إن المفاوضات توقفت عام ١٩٩٦ ولم تستأنف إلا فى ديسمبر ١٩٩٩.

لكنها سرعان ما توقفت مرة أخرى رغم القمة التى عقدت فى جنيف بين الأسد وكلينتون فى مارس الماضى.

ومن الواضح أن فلسفة إسرائيل فى التفاوض مع سوريا سواء كان يحكمها الليكود أو العمل تقوم على التنازل عن جزء من الجولان مقابل السلام الكامل مع سوريا. ويضيف حزب العمل إلى هذه الفلسفة فكرة الشرق أوسطية التى يروج لها شيمون بيريز. أما موقف سوريا فهو يستند إلى ضرورة تطبيق قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢، الذى ينص على انسحاب إسرائيل من الأراضى العربية التى احتلتها عام ١٩٦٧.

وتراهن إسرائيل الآن على أن سوريا فقدت ورقة ضغط قوية بعد انسحاب القوات الإسرائيلية من جنوب لبنان، كما أن الجبهة السورية هادئة ولم تشهد أية عمليات عسكرية منذ حرب أكتوبر ١٩٧٣. ومن ثم فلا يوجد أى مبرر - من وجهة نظر إسرائيل - لإعادة الجولان كاملة إلى سوريا أو التساهل فى موقفها من الاحتفاظ بجزء من بحيرة طبرية التى تمدها بـ ٤٠٪ من مواردها المائية.

ولاشك أن القيادة السورية الجديدة تحتاج إلى وقت طويل لإعادة ترتيب البيت السورى من الداخل وترسيخ أركان الحكم الجديد قبل الانخراط فى قضايا السياسة الخارجية، ولكن من المستبعد حدوث توتر أو تصعيد عسكرى بين سوريا وإسرائيل لأن لغة الحرب لم تعد موجودة فى الخطاب السياسى فى البلدين.

ومن الصعوبة بمكان تصور أن تقدم القيادة السورية الجديدة تنازلات لإسرائيل فى الجولان خاصة فى المرحلة الأولى من بداية حكمها، لأن مثل هذه الخطوة ستؤدى إلى حدوث بلبلة فى الرأى العام السورى، وربما إلى كسر الإجماع الوطنى على ضرورة انسحاب إسرائيل الكامل من الجولان.

محمد مصطفى

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية